

الكتاب المنشور يوم القيامة

(تفسير موضوعي)

د . محب الدين عبد السبحان واعظ .

الإيمان باليوم الآخر ركن لا يتم إيمان المرء إلا بالإيمان به ، وبالبعث (١) وما يكون في ذلك اليوم من العرض والحساب والجزاء والعقاب والجنة والنار ، والإيمان به إيمان بالغيب الذي مدح الله المؤمنين به وجعلهم من المفلقين فقال جل شأنه (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلقون) (٢) .

* الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية .

(١) والإيمان بالبعث : هو أن يؤمن بأن الله تعالى يعيد الرفات من أبدان الأموات ، ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطن السباع وغيرها ، حتى تصير بهيئتها الأولى ، ثم يجمعها حية ، فيقوم الناس كلهم بأمر الله تعالى أحياء ، صغيرهم وكبيرهم ، حتى السقط الذي قد تم خلقه ، ونفخ فيه الروح . شعب الإيمان للبيهقي ٢٣٩/١ .

(٢) سورة البقرة الآيات ٣-٥ .

ومن ضمن الإيمان بالغيب إيمان بكتاب أعمال العبد الذي وكل الله تعالى لكل إنسان ملكين كريمين يكتبان كل أعماله ، الحسنه والسيئة (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (١) وقال تعالى (وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) (٢) •

ولقد بعث الله نبينا محمدا ﷺ بالإسلام والحنيفية السمحة قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) (٣) وقال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) (٤) بعثه لدعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته ، (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٥) فلاقى مالم يتوقعه من الإعراض والتهم والإيذاء فتحمل ﷺ عبء الكفاح والدفاع عن العقيدة الصحيحة ، أمام تصورات الجاهلية الأولى ، مع الأعداء المتألبين عليه وعلى الإسلام والمسلمين به ، وما قصة أبي لهب وامرأته بخافية على المسلمين ، أو على من درس التاريخ ، إذ أنزل سورة بتمامها في شأنها •

كما سجل التاريخ أحداث ما تحمل النبي ﷺ وأصحابه الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - من إيذاء موجه إليهم قولاً وفِعلاً ، إضافة إلى المعتقدات الباطلة ، وإنكار الحقائق الثابتة حسداً وبغضاً •

-
- (١) سورة ق ، آية ١٨ • (٢) سورة آل عمران ، آية ١٩ •
(٣) سورة الانفطار ، الآيات ١٠-١٢ • (٤) سورة البينة آية ٥ •
(٥) سورة النحل ٣٦ •

ومن ضمن ما كانوا ينكرونه (البعث والحشر والحساب ، والجزاء والثواب والعقاب) إذ دلت عليه الآيات القرآنية التي نزلت في الفترة المكية التي كانت تركز على الدعوة إلى وحدانية الله تعالى ، وأنه الفرد الصمد ، وتحقيق رسالة الرسول ﷺ وبعثته ، وإثبات البعث وذكر يوم القيامة ، وما يتبعه من الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها .

وإن الآيات المكية لتفيد بجلاء إنكار المشركين للبعث والحشر ، وما فيه من حساب وجزاء ، إذ يقول تعالى عنهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) لكنه رد عليهم فقال (بلى وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) .

وقال تعالى أيضا عن بعضهم (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيى العظام وهي رميم) فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ أن يجيبهم (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق علم) (٢) .

ولقد كان للقرآن العظيم أساليب شتى في اجتناب فكرة (عدم البعث) فمن ضمنها توجيه الأنظار والقلوب والعقول إلى وجود كتاب لأعمال العباد، يحصى فيه الملكان الكريمان كل أعمال البشر حسننها وسيئها ، وكشف الستار عن معتقدهم الباطل بذكر مصير المؤمنين والكافرين بعد اعتراف كل فرد باستحقاق مصيره ، لوجود كل أعماله في كتابه الذي يلقاه منشورا يوم القيامة .

(١) سورة النحل ٣٨ .

(٢) سورة يس ٧٨ .

والقرآن العظيم له منهجه الفريد فى الهداية والإرشاد ، (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (١) •

ومن باب التدبر - امتثالاً بالأمر الربانى - صورت فى ذهنى موقف الناس يوم الحشر إذ يقال لكل فرد اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (٢) • وهممت بجمع الآيات المتعلقة بهذا الكتاب - كتاب أعمال العباد - لألقى الضوء على الجوانب التى تحدث عنها القرآن الكريم ، فوقفت على مجموعة من الآيات التى تتحدث بالتصريح عن هذا الكتاب ، وكلها نزلت فى الفترة المكية ، إلا الآيات التى فى سورة المطففين ، فقد اختلف العلماء فى كونها مكية ، إذ قال بعض العلماء بأنها مدنية •

وهذه الآيات فى السور التالية التى رتبها حسب ترتيب النزول ، كما ذكرها المتخصصون فى التفسير وعلوم القرآن •

(سورة التكويد ، ثم ق ، ثم الإسراء ، ثم الزمر ، ثم الجاثية ، ثم الكهف ، ثم الأنبياء ، ثم المؤمنون ، ثم الحاقة ، ثم النبأ ، ثم الانفطار ، ثم الانشقاق ، ثم المطففين) (٣) •

هذا وقد جاء الحديث عن الكتاب بدون تصريح فى آية من سورة آل عمران المدينة ، وستقف على الجميع فى ثنايا البحث ، مرتبة حسب النزول بذكر آيات كل مطلب فى مكانه من البحث •

(١) سورة ص ٢٩ • (٢) سورة الإسراء ١٤ •

(٣) انظر بصائر ذوى التمييز ٩٨/١ - ٩٩ •

وهذا الموضوع لم يتطرق إليه أحد - حسب علمي - بالجمع والدراسة بالاستيعاب في بحث مستقل ، مما جعلني أقبل عليه بكل جد حتى أكمله ، فأكملته ، ووضعت له عنوانا باسم •

الكتاب المنشور يوم القيامة

معنى الكتاب :

قال ابن فارس : "الكاف والتاء ، أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء ، من ذلك : الكتاب والكتابة (١) "

وقال الراغب : "والكتاب في الأصل مصدر ، ثم سمي المكتوب فيه كتابًا ، والكتاب في الأصل : اسم للصحيفة مع المكتوب فيه" (٢) •
وقال ابن عطية : "الكتاب : مأخوذ من كتبت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض" (٣) •

ولفظ (الكتاب) ورد ذكره في القرآن الكريم مرادًا به معاني عدة تتجاوز العشرة (٤) ، فمنها :

١- اللوح المحفوظ ، كما في قوله تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير) (٥) •

٢- القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) (٦) •

(٣) تفسير ابن عطية ١/١٤٢ •

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/١٥٨ •

(٤) انظر مفردات الراغب ٤٢٣-٤٢٥ •

(٢) المفردات للراغب ٤٢٣ •

(٦) سورة النساء ١١٣ •

(٥) سورة الحديد ٢٢ •

- ٣- التوراة ، كما فى قوله تعالى : (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) (١) •
- ٤- التوراة والإنجيل ، كما فى قوله تعالى : (فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به) (٢) •
- ٥- الكتب المنزلة كلها ، كما فى قوله تعالى : (وتؤمنون بالكتاب
كله) (٣) •
- ٦- الكتاب الذى أثبت فيه أعمال العباد ، كما فى قوله تعالى :
(ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا) (٤) •

والمراد بالكتاب فى عنوان هذا البحث ، هو المعنى الأخير ، والذى
يكون حديثى عنه فى ثنايا هذا البحث •

والمراد بالمنشور : غير المطوى الذى يظهر جميع ما فيه ، وقال ابن
فارس : "النون والتشين والراء : أصل صحيح يدل على فتح شىء
وتشعبه •• ونشرت الكتاب : خلاف طويته" (٥) •

ونشر الشىء : بسطه وهو ضد الطى قال ابن منظور : والمنشور من
كتب السلطان : ما كان غير مختوم (٦) •

والمراد بيوم القيامة : هو اليوم الموعود الذى لا يجهله أحد ، بل
الذين ينكرونه هم الذين على أبصارهم غشاوة ، وممن ختم الله على قلوبهم
وسمعهم ، والعياذ بالله •

(١) سورة القصص ٤٣ • (٣) سورة آل عمران ١١٩ •
(٢) سورة العنكبوت ٤٧ • (٤) سورة الإسراء ١٣-١٤ •
(٥) معجم مقاييس اللغة ٤٣٠/٥ (٦) انظر لسان العرب ، مادة "نشر" ٤٤٢٤/٦-٤٤٢٥

والمراد بالتفسير الموضوعى : بيان وتوضيح معانى الآيات المتعلقة بموضوع واحد ، من مواضيع القرآن الكريم المتعددة (١) .
وموضوع هذا البحث هو (كتاب أعمال العباد) الذى أريد إيضاحه وبيانه من كل زواياه المذكورة فى القرآن الكريم .

موضوع البحث :

دراسة الآيات التى تتحدث عن كتاب أعمال العباد ، من حيث حقيقته ، ومكانه ، وكتابه ، وتوزيعه يوم النشور ، ونتيجة ذلك ، دراسة موضوعية تلقى الضوء على الجوانب المهمة التى يجب على المرء أن يكون على علم بها ، حتى يكون قلبه هو الذى يعظه ويرشده ، وينهاه عن الوقوع فى المهالك أو الانحراف إلى الردى والضلالة .

الهدف من البحث :

- ١- التفسير الموضوعى للآيات القرآنية المتعلقة بكتاب أعمال العباد .
- ٢- بيان حقيقة هذا الكتاب ، الذى ينشر يوم القيامة .
- ٣- بيان وجوب الإيمان به .
- ٤- حث الإنسان على تذكره ، والعلم بحقيقته ، ليراقب نفسه كما يراقبه الكتبة الكرام الحافظون ، وليحاسب نفسه قبل أن يأتى يوم الحساب .
- ٥- إظهار جوانب الموضوع للعيان ، ليظهر كالملموس ، حتى يكون أوقع فى النفس وأدعى للتذكر والاعتبار .
- ٦- بيان العبر والدروس المستفادة من هذا الموضوع .

(١) انظر المدخل إلى التفسير الموضوعى للدكتور عبد الستار فتح الله ، والتفسير الموضوعى بين النظرية والتطبيق للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى .

أهمية البحث :

١- نصيحة المسلمين وإرشادهم لمصالحهم فى آخرتهم ودينهم ،
والتواصى بالحق ، قال تعالى (والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين
آمَنوا وعملوا الصالحات ، وتواصلوا بالحق وتواصلوا بالصبر) وقال النبى
ﷺ فيما يرويه عنه تميم الدارى : "الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله
ولكنه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعاملتهم(١) " .

قال ابن حجر : "والنصيحة لعامة المسلمين : الشفقة عليهم ، والسعى فيما
يعود نفعه عليهم ، وتعليمهم ماينفعهم ، وكف وجوه الأذى عنهم ، وأن يحب
لهم مايحب لنفسه ، ويكره لهم مايكره لنفسه(٢) " .

٢- تذكير المسلمين بهذا الكتاب - كتاب أعمال العباد - الذى لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة إلا ويحصيها - والذكرى تنفع المؤمنين - وتحذيرهم من
الملكين الكريمين اللذين يكتبان كل مايصدر من الإنسان ، وتبصيرهم بيوم
المعاد ، وبمصير الفريقين (فريقا هدى ، وفريقا حق عليهم الضلالة (٣)) .

٣- جمع ما يتعلق بالموضوع فى مكان واحد ، ودراسته دراسة
موضوعية مركزة من كل جوانبه .

وبعد جمع الآيات القرآنية التى تتحدث عن كتاب أعمال العباد ،
وقراءة تفسيرها فى معظم كتب التفسير بالرواية والدراية ، قسمت مضمونها
إلى نقاط معدودات ، وجوانب متواليات ، وهى التالية :

-
- (١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه ، فى كتاب الإيمان ١/ ٧٤ .
(٢) فتح البارى ١/ ١٣٨ .
(٣) سورة الأعراف ٣٠ .

(١) كتاب الأعمال ، والكتبة الكرام •

(٢) مكان هذا الكتاب •

(٣) زمان نشر الكتاب •

(٤) توزيع الكتاب ونتيجته •

كتاب الأعمال ، والكتبة الكرام :

لقد خلق الله تعالى الإنسان فى أحسن تقويم ، فجعله سميعاً بصيراً ، لينبئ به أختار الصراط المستقيم ، أم ينحرف فلا يكون من الشاكرين ، فقال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)(١) وقال تعالى (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)(٢) ومن المعلوم أن بعد الابتلاء جزاء ومحاسبة ، والله تعالى علام الغيوب ، لا تخفى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ومع ذلك خصص لكل فرد كتاباً يحصى فيه الكتبة الكرام من الملائكة ، أعمال العباد ، حسنة كانت أو غيرها ، فقال تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق)(٣) أى: أن كتاب أعمال العبد دون فيه كل ما عمله الإنسان ، وينطق بالحق يوم القيامة •

وقال تعالى (ولدينا كتاب ينطبق بالحق وهم لا يظلمون)(٤) قال ابن جزى : "فى الآية تهديد ، وتأمين من الظلم والحيف"(٥) وقال الشوكانى : "وفى هذا تهديد للعصاة وتأمين للمطيعين من الحيف والظلم"(٦) •

(٢) سورة الملك ٢ •

(١) سور الدهر ٢ •

(٤) سورة المؤمنون ٦٢ •

(٣) سورة الجاثية ٢٩ •

(٦) فتح القدير ٤٨٦/٣ •

(٥) تفسير ابن جزى ٥٣/٣ •

وفى هاتين الآيتين الكريمتين يبين الله تعالى بأن لديه كتابًا ، بعد أن بين فى الآية الثانية أنه لا يكلف نفسًا من النفوس إلا ما فى وسعها وقدر طاقتها ، فقال (ولا نكلف نفسا إلا وسعها)(١)

والمراد بالكتاب على القول الراجح(٢) : "صحائف الأعمال التى يقرءونها عند الحساب ، ينطق بالحق المطابق للواقع على ما هو عليه ، فيظهر جلائل الأعمال ودقائقها ، ويترتب عليها أجزيتها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، وهم لا يظلمون ، وهو هو ذو الفضل العظيم ، يجازيهم على أتم وجه بقدر أعمالهم التى نطقت بها صحائفهم بالحق"(٣) .

وفى آية الجاثية (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)(٤) روى ابن جرير الطبرى بسنده عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : "إن الله خلق النون ، وهى الدواة ، وخلق القلم ، فقال : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول ، بر أو فجور ، أو رزق مقسوم ، حلال أو حرام ، ثم ألزم كل شىء من ذلك شأنه ، دخوله فى الدنيا ، ومقامه فيها كم ، وخروجه منها كيف ، ثم جعل على العباد حفظة ، وعلى الكتاب خزائن ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر ، وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة

(١) سورة المؤمنون ٦٢ .

(٢) وقيل : بأن المراد به : اللوح المحفوظ ، كما قال ابن الجوزى فى زاد المسير ٤٨١/٥ ، والزمخشري فى الكشاف ١٩٣/٣ ، وقيل : صحائف يقرءونها ، فيها ما ثبت لهم فى اللوح المحفوظ من الجزاء ، وقيل : إن المراد به : القرآن الكريم انظر روح المعانى ٤٦/١٨

(٣) روح المعانى ٤٦/١٨ ، وانظر تفسير الطبرى ٤٨/١٩ ، وتفسير المراغى ٣٥/١٨

(٤) سورة الجاثية ٢٩ .

يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : وما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً ،
فترجع الحفظة ، فيجدونهم قد ماتوا ، قال : فقال ابن عباس : أستم قوما
عربا تسمعون الحفظة يقولون (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهل يكون
الاستنساخ إلا من أصل" (١) .

وقال ابن الجوزى : "وأكثر المفسرين ، على أن هذا الاستنساخ من
اللوح المحفوظ ، تستنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بنى آدم ،
فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه" (٢) .

وهذا يفيد أن الملائكة تنسخ من اللوح المحفوظ كل ما يتعلق بالمرء
من رزق وعمل ونحو ذلك ، ثم يدون الملكان الكريمان المكلفان بالكتابة كل
ما يصدر منه كل حين ، فيجدانه موافقاً لما نسخ ، وقد قال تعالى (وكل
شئ أحصيناه كتاباً) (٣) قال الطبرى: "يقول تعالى ذكره : وكل شئ
أحصيناه فكتبناه كتاباً ، كتبنا عدده ومبلغه وقدره ، فلا يعزب عنا علم
شئ" (٤) .

أما عن الكتب الكرام الموكلين بالعباد، فقد قال الله تعالى عنهم (إذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) (٥) أى أن الملكين اللذين يكتبان عمل

(١) تفسير الطبرى ٨٤/٢٢ ، وأورد الأثر عنه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣٠/٧ .

(٢) زاد المسير ٣٦٥/٧ ، وانظر فتح القدير ١٢/٥ .

(٣) سورة النبأ ٢٩ .

(٤) تفسير الطبرى ١٦٩/٢٤ .

(٥) سورة ق ١٧ ، قال الطبرى : واختلف أهل العربية فى وجه توحيد (قعيد) وقد ذكر
من قبل متلقيان ، فقال بعض نحوى البصرة : قيل (عن اليمين وعن الشمال قعيد) =

الإنسان مترصدان لكل ما يعمل به ابن آدم يكتبانها ، لا يتركان كلمة ولا حركة (١) .

قال مجاهد : "ملك عن يمينه ، وآخر عن يساره ، فأما الذى عن يمينه فيكتب الخير ، وأما الذى عن شماله فيكتب الشر (٢) .

قال تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (٣) قال الطبرى : "ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به ، إلا عند ما يلفظ به من قول : رقيب عتيد ، يعنى حافظ يحفظه ، عتيد معد" (٤) .

وقال عبد الله بن عباس : "يكتب كل ما نكلم به ، من خير أو شر ، حتى إنه ليكتب قوله : أكلت ، شربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت ، حتى إذا كان

= ولم يقل : عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد ، أى أحدهما ، ثم استغنى ، كما قال : (نخرجكم طفلاً) ثم استغنى بالواحد عن الجمع ، كما قال : (فإن طبن لکم عن شىء منه نفساً) وقال بعض نحوى الكوفة : (قعيد) يريد : قعوداً عن اليمين وعن الشمال ، فجعل (فعليل) جمعا ، كما يجعل (الرسول) للقوم وللاثنتين ، قال الله عز وجل : (إنا رسول رب العالمين) وقال الشاعر :

ألكنى إليها وخير الر -- سول أعملهم بنواحي الخبر
فجعل الرسول للجميع فهذا وجه ، وإن شئت جعلت (القعيد) واحداً ، اكتفاء به من صاحبه ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف
ومنه قول الفرزدق :

إنى ضمنت لمن أتانى ما جنى وأبى فكان وكنت غير غدور

ولم يقل : غدورين ، تفسير الطبرى ٢٢/٣٤٢-٣٤٣ .

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٣٩ . (٢) انظر تفسير الطبرى ٢٢/٣٤٤ .

(٣) سورة ق ١٨ . (٤) المصدر السابق .

يوم الخميس عرض قوله وعمله ، فأمر منه ما كان فيه خير أو شر ، وألقى
سائره ، فذلك قوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت) (١) .

وقد روى أبو أمامة عن النبي ﷺ "إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست
ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، أو المسئ ، فإن ندم واستغفر الله منها
ألقاها ، وإلا كتبت واحدة" (٢) .

وأما الذى يأتى بالطاعات ، ويعمل الصالحات ، فقد قال الله تعالى
عنهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له
كاتبون) (٣) أى مثبتون فى صحيفة عمله ، لا يضيع بوجه ما (٤) .

وسياق هذه الآية الكريمة ، يدل على تفرق الناس فى دينهم الذى أمر
الله به ، ودعاهم إليه ، فصاروا فيه أحزاباً ، فهودت اليهود ، وتنصرت
النصارى ، وعبدت الأوثان ، ثم تفيد هذه الآية كما قال الطبرى : "فمن
عمل - من هؤلاء الذين تفرقوا فى دينهم - بما أمره الله به ، من العمل
الصالح ، وأطاعه فى أمره ونهيه ، وهو مقر بوحداية الله ، مصدق بوعد
ووعده ، متبرئ من الأنداد والآلهة (فلا كفران لسعيه) يقول : فإن الله
يشكر عمله الذى عمل له مطيعاً له ، وهو به مؤمن ، فيثيبه فى الآخرة ثوابه

(١) سورة الرعد ٣٩ ، الأثر فى الدر المنثور ٥٩٣/٧ .

(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢١٧/٨ - ٢١٨ ، وقال الهيثمى : رواه الطبرانى

بأسانيد ورجال أحدها وثقوا . مجمع الزوائد ٢٠٧/٨ - ٢٠٨ وروى نحوه البيهقى

فى شعب الإيمان ٣٩٠/٥ - ٣٩١ .

(٣) سورة الأنبياء ٩٤ . (٤) انظر روح المعانى ٩٠/١٧ .

الذى وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ، ولا يكفر ذلك له فيجده ، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ، (وإننا له كاتبون) يقول : ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها ، فلا نترك منها شيئاً ، لنجزيه على صغير ذلك وكبيره ، وقليله وكثيره" (١) .

ولقد حذر الله تعالى البشر ليحتاط وينتبه ، حتى لا يسجل له إلا ما يسره عاجلاً أو آجلاً ، فقال تعالى (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) (٢) قال ابن كثير : "يعنى: وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلونهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم" (٣) .

وقال الألوسى : "يعلمون ما تفعلون من الأفعال قليلاً كان أو كثيراً ، ويضبطون نقيراً أو قطميراً" (٤) .

وإخبار الله تعالى لنا عن الكرام الكاتبين الذين يرافقوننا باستمرار "ليشعر القلب البشرى أنه غير متروك سدى ، وأن عليه حفظة كراما كاتبين يعلمون ما يفعله ، ليرتعش ويستيقظ ويتأدب" (٥) .

ووصف الكتبة بالكرام "ليستحيش فى القلوب إحساس الخجل ، والتجمل بحضرة هؤلاء الكرام ، فإن الإنسان ليحتشم ويستحي وهو بمحضر

(١) تفسير الطبرى ٥٢٤/١٨ ، (٣) تفسير ابن كثير ٥١٤/٤ .

(٢) سورة الانفطار ١٠-١٢ .

(٤) روح المعانى ٨٣/٣٠ ، والنقير : النكتة فى النواة كأن ذلك الموضع نقر منها ،

وقال ابن السكيت : النكتة التى على ظهر النواة . لسان العرب "مادة نقر" ٥١٩/٦

والقطمير : الفوفة التى فى النواة ، وهى القشرة الدقيقة التى على النواة بين النواة

والتمر . انظر الصحاح للجوهري ٧٩٧/٢ ، ولسان العرب "مادة قطمر" ٣٦٨٢/٥ .

(٥) فى ظلال القرآن ٣٨٥١/٦ .

الكرام من الناس أن يسف أو يتبذل في لفظ أو حركة أو تصرف ، فكيف به حين يشعر ويتصور أنه في كل لحظاته في حضرة حفظة من الملائكة ، كرام لا يليق أن يطلعوا منه إلا على كريم من الخصال والفعال" (١) .

وفي الحديث المروى عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ "إن الله ينهاكم عن التعرى ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث حالات ، الغائط والجنابة والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بثوبه ، أو بجذمة حائط (٢) ، أو ببعيره" (٣) .

ولابد من التيقن بعد علم ذلك : بأن توكيل الملكين للكتابة والضبط ليس للجزاء وإقامة الحجة ، لأن الانضباط في علم الله أدق وأعلى مما يتصوره بشر ، ولكن تكليف الملائكة الحفظة للتدوين ، لإرشادنا إلى ما فيه محاسبة العبد نفسه قبل يوم الحساب ، وقد قال الألوسى : "وليس ذلك للاحتياج ، وإنما هو لحكم تقصر عنها العقول" (٤) وقال أيضا : "وليس ذلك للجزاء وإقامة الحجة ، وإلا لكان عبثاً ، ينزه عنه الحكيم العليم" (٥) سبحانه .

(١) المرجع السابق .

(٢) الجذم : الأصل ، وجذمة حائط : بقية حائط ، أو قطعة من حائط . لسان العرب

"مادة جذم" ٥٧٩/١ .

(٣) كشف الأستار ١٦٠-١٦١ ، ومجمع الزوائد ٢٦٨/١ ، ٢٦٩ ، وأورده السيوطى

في الدر المنثور ٤٤٠/٨ .

(٤) روح المعانى ٢١/٣٠ . (٥) روح المعانى ٨٣/٣٠ .

مكان الكتاب

أما عن مكان هذا الكتاب الدقيق ، فيخبرنا القرآن الكريم عن كتاب الأبرار - وهم "الذين بروا الله بأداء الفريضة ، واجتتاب محارمه ، وقد كان الحسن يقول : هم الذين لا يؤذون شيئاً حتى الذر"(١) - إن كتابهم لفي عليين .

وعن كتاب الفجار - وهم "المكذبون بيوم الدين"(٢) - إن كتابهم لفي سجين .

وقال تعالى : (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين - وما أدراك ما سجين - كتاب مرقوم)(٣) .

قوله (كلا) بمعنى حقاً ، متصلة بما بعدها ، على معنى : حقاً إن كتاب الفجار لفي سجين(٤) .

قوله (إن كتاب الفجار لفي سجين) والمراد بالكتاب : الكتاب الذي كتب فيه أعمالهم ، قال الألوسي : "والكلام نظير أن تقول : إن كتاب حساب القرية الفلانية في الدستور الفلاني ، لما يشتمل على حسابها وحساب أمثالها، في أن الظرفية فيه : من ظرفية الكل للجزء" على أن المراد بالكتاب : هو الكتاب على الظاهر .

(١) تفسير الطبري ٢٩٠/٢٤ .

(٢) تفسير النسفي ٣٤١/٤ .

(٣) سورة المطففين ٧-٩ .

(٤) انظر زاد المسير ٥٤/٩ ، وفتح القدير ٣٩٥/٥ ، وتفسير البغوي ٤٥٨/٤ .

"وقيل : بمعنى مكتوب ، أى ما يكتب من أعمال الفجار لفى ٠٠ إلخ .
وقيل : مصدر بمعنى الكتابة ، وفى الكلام مضاف مقدر ، أى أن كتابة
عمل الفجار لفى ٠٠ إلخ" (١) .

قوله (سجين) فيه أربعة أقوال جمعها ابن الجوزى فى تفسيره :
١- "أنها الأرض السابعة ، وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك وابن
زيد ومقاتل .

وروى عن مجاهد : قال (سجين) صخرة تحت الأرض السابعة ،
يجعل كتاب الفجار تحتها ، وهذه علامة لخسارتهم ودلالة على خسارة
منزلتهم .

٢- أن كتابهم فى سفال ، قاله الحسن .

٣- لفى خسار ، قاله عكرمة .

٤- لفى حبس ، (فعيل) من الحبس ، قاله أبو عبيدة" (٢) .

واختار ابن جرير الطبرى القول الأول (٣) .

ويؤيده الحديث الطويل عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - الذى
ذكر الرسول ﷺ فيه العبد المؤمن حين وفاته ، وأن الله تعالى يقول (اكتبوا
كتاب عبدى فى عليين) وفيه أيضا ذكر العبد الكافر ، وأن الله تعالى يقول
(اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى) (٤) .

(١) روح المعانى ٩١/٣٠ . (٣) تفسير لطبرى ٢٨٢/٢٤ و ٢٨٤ .

(٢) زاد المسير ٥٤/٩ . (٤) رواه الإمام أحمد بطوله فى مسنده ٢٨٨-٢٨٧/٤ .

وقال ابن كثير : "والصحيح : أن سجيناً مأخوذاً من السجن ، وهو الضيق ، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق ، وكل ما تعالى منه اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذى دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التى دونها ، حتى ينتهى إلى السفول المطلق والمحل الأضيّق إلى المركز فى وسط الأرض السابعة" (١) .

قوله (وما أدراك ما سجين) "هذا تعظيم لأمرها ، وقال الزجاج : أى : ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك" (٢) .

وقوله (كتاب مرقوم) قال البغوى : ليس هذا تفسير (السجين) بل هو بيان الكتاب المذكور فى قوله (إن كتاب الفجار) أى : إن كتاب الفجار مرقوم ، كتاب مرقوم ، أى مكتوب فيه أعمالهم ، مثبتة عليهم ، كالرقم فى الثوب ، لا ينسى ولا يمحو حتى يجاروا به (٣) .

وقال ابن كثير : "كتاب مكتوب مفروغ منه ، لا يزداد فيه أحد ، ولا ينقص منه أحد" (٤) .

وقال تعالى عن كتاب الأبرار (كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ، وما أدراك ما عليون ، كتاب مرقوم ، يشهده المقربون) (٥) .

(١) تفسير ابن كثير ٥١٧/٤ - ٥١٨ . (٣) انظر تفسير البغوى ٤٥٩/٤ .

(٢) تفسير البغوى ٤٥٩/٤ ، وزاد المسير ٥٤/٩ . (٤) تفسير ابن كثير ٥١٨/٤ .

(٥) سورة المطففين ١٨ - ٢١ .

قوله (عليين) اختلفوا فى معناه على أقوال عدة :

- أحدها : أنها الجنة ، رواه عطاء عن ابن عباس •
- الثانى : أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش ، فيه أعمال مكتوبة ، روى ذلك عن ابن عباس أيضا •
- الثالث : أنها السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين ، قال كعب ، وهو مذهب مجاهد وابن زيد •
- الرابع : أنها قائمة العرش اليمنى ، قاله قتادة ، وقال مقاتل : ساق العرش •
- الخامس : أنه سدرة المنتهى ، قاله الضحاك •
- السادس : أنه فى علو وصعود إلى الله عز وجل ، قاله الحسن ، وقال الفراء : فى ارتفاع بعد ارتفاع •
- السابع : أنه أعلى الأمكنة ، قاله الزجاج (١) •

قال ابن كثير : "والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشئ وارتفع عظم واتسع" (٢) •

وقال ابن جرير : "والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبر أن كتاب الأبرار فى عليين ، والعليون : جمع ، معناه : شئ فوق شئ وعلو فوق علو ، وارتفاع بعد ارتفاع ، فلذلك جمعت بالياء والنون •• وقوله (لفى عليين) معناه : فى علو وارتفاع فى سماء فوق سماء وعلو فوق علو ، وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة ، وإلى سدرة

(١) زاد المسير ٥٧/٩ ، تفسير البغوى ٤٦٠/٤ •

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٩/٤

المنتهى ، وإلى قائمة العرش ، ولا خبر يقطع العذر بأنه معنى به بعض ذلك دون بعض ، والصواب أن يقال : كما قال جل ثناؤه : إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حد قد علم الله - جل وعز - منتهاه ، ولا علم عندنا بغايته ، غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك" (١) .

وقوله (وما أدراك ما عليون) مثل قوله (وما أدراك ما ساجين) وقد سبق .

وكذا قوله (كتاب مرقوم) ليس هذا بتفسير (عليين) بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله (إن كتاب الأبرار لفي عليين) أى مكتوب أعمالهم ، كما ذكرنا في كتاب الفجار (٢) .

قوله (يشهده المقربون) قال ابن عباس : يشهده من كل سماء مقربوها .

وقال قتادة : هم الملائكة (٣) .

وقال سيد قطب : "ويضاف إليه - أى كتاب الأبرار - هنا ، أن الملائكة المقربين يشهدون هذا الكتاب ويروونه ، وتقرير هذه الحقيقة هنا يلقي

(١) تفسير الطبرى ٢٩٢/٢٤ - ٢٩٤ .

(٢) انظر تفسير البغوى ٤٦٠/٤ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٥١٩/٤ .

ظلاً كريماً طاهراً رفيعاً على كتاب الأبرار ، فهو موضع مشاهدة المقري:
من الملائكة ، ومتعتهم بما فيه من كرائم الأفعال والصفات" (١) .

ويقرر الإمام البغوى مكان كتاب الفريقين فيقول : "إن كتاب الأبرار
كتاب مرقوم فى عليين ، وهو محل الملائكة ، ومثله كتاب الفجار كتاب
مرقوم فى سجين ، وهو محل إبليس وجنوده" (٢) .

زمان نشر الكتاب

أما عن زمان نشر هذا الكتاب فيخبرنا الله تعالى عنه بعد ذكر بعض
علامات يوم القيامة ، إذ يقول (وإذا الصحف نشرت) (٣) لأنها تطوى عند
الموت ، وتنتشر عند الحساب (٤) وقال تعالى أيضا (ونخرج) (٥) له يوم القيامة

(١) فى ظلال القرآن ٣٨٥٩/٦ .

(٢) تفسير البغوى ٤٦١/٤ .

(٣) سورة التكوير ١٠ .

(٤) انظر فتح القدير ٣٨٦/٥ .

(٥) وقوله (ونخرج) اختلف القراء فى هذه اللفظة :

فقرأ أبو جعفر (ويخرج) بالياء وضمها ، وفتح الراء ، على أنه مضارع (أخرج)
الرباعى ، مبنى للمجهول ، ونائب الفاعل : ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على
طائره المتقدم ذكره فى قوله تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ، و(كتاباً)
حال ، وقرأ يعقوب (ويخرج) بالياء وفتحها ، وضم الراء ، على أنه مضارع (خرج)
الثلاثى . مبنى للمعلوم ، والفاعل : ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على طائره
أيضا ، و(كتاباً) حال .

وقرأ الباكون (ونخرج) بالنون وضمها ، وكسر الراء على أنه مضارع (أخرج)
الرباعى ، مبنى للمعلوم ، والفاعل : ضمير مستتر تقديره (نحن) - وهو الله تعالى -

كتاباً يلقاه (١) منشوراً ، اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (٢) ٠

أى أن الله - جل شأنه - يخرج لكل فرد من الناس يوم القيامة والبعث والحساب ، كتاب أعماله ، منشوراً غير مطوى فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره ، ويقال له : (اقرأ كتابك) فيقرأ كل واحد كتابه - من كاتب وأمى - ويعرف حسابه ومصيره (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) قال ابن الجوزى : "أى أن الإنسان يفوض إليه حسابه ، ليعلم عدل الله بين العباد ، ويرى وجوب حجة الله عليه" (٣) ٠

= لأن قبله (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وقوله (وكل شئ فصلناه تفصيلاً) وقوله (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) و (كتاباً) مفعول به ، انظر النشر فى القراءات العشر ٣٠٦/٢ ، وتفسير الطبرى ٣٩٩/١٧ ، والمعنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة ٣٣٨/٢-٣٣٩ ، وفتح القدير ٢١٨/٣ ٠

١- وقوله (يلقاه) قرأ أبو جعفر وابن عامر (يلقاه) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، على أنه مضارع (لقى) مضاعف العين ، مبنى للمجهول ، ونائب الفاعل: ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على الإنسان المتقدم ذكره فى قوله (وكل إنسان) وهو المفعول الأول ، والهاء التى فى (يلقاه) مفعوله الثانى ، وهى عائدة على (كتاباً) وقوله (منشوراً) صفة لـ (كتاباً) ٠

وقرأ الباقر (يلقاه) بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف ، على أنه مضارع (لقى) الثلاثى ، والفاعل : ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على صاحب الكتاب ، وهو الإنسان المتقدم ذكره ، والضمير فى (يلقاه) مفعول به ، وهو عائدة على (كتاباً) وقوله (منشوراً) صفة لـ (كتاباً) انظر النشر فى القراءات العشر ٣٠٦/٢ ، وتفسير الطبرى ٣٩٩/١٧ ، والمعنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة ٣٣٨/٢-٣٣٩ ، وفتح القدير ٢١٨/٣ ٠

(٢) سورة الإسراء ١٣-١٤ ٠

(٣) زاد المسير ١٦/٥ ٠

وقال تعالى أيضا عن زمان نشر الكتاب ، بأنه يوم تشرق الأرض -
المبدلة غير هذه الأرض المعروفة (١) - بنور ربها وخالقها و"ذلك حين
يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه ، فما يتضارون فى نوره ، كما لا
يتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو" (٢) قال تعالى : (وأشرق الأرض
بنور ربها ووضع الكتاب) (٣) أى وضع الكتاب الذى فيه أعمال بنى آدم
للكساب والمجازاة ، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله (وجئ بالنبیین) أى : جئ بهم
إلى الموقف فسنلوا عما أجابتهم به أممهم ، وليسئلوا هل بلغوا أممهم (٤)
(والشهداء) أى : أمة محمد ﷺ يستشهدهم ربهم على الرسل ، فيما ذكرت
من تبليغها رسالة الله التى أرسلهم بها ربهم إلى أممها ، إذ جددت أممهم أن
يكونوا أبلغوهم رسالة الله ، والشهداء جمع شهيد ، وهذا نظير قول الله
(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيذا) (٥) •

قال تعالى (وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة
عقاب على ما جرى به الوعد (ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما
يفعلون) فلا يفوته - سبحانه - شئ من أعمالهم (٦) •

(١) قال تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار)

سورة إبراهيم ٤٨ •

(٢) تفسير البغوى ٨٨/٤ • (٣) سورة الزمر ٧٠/٦٩ •

(٤) فتح القدير ٤٥٨/٤ ، روح المعانى ٣١/٢٤ •

(٥) تفسير الطبرى ٣٢٦/٢١ ، والآية من سورة البقرة ١٤٣ •

(٦) انظر روح المعانى ١٣/٢٤ •

وحينما يأتى موعد المجازاة يدعى الجميع إلى كتبهم ، حيث يقول تعالى (كل أمة تدعى إلى كتابها (١) ، اليوم تجزون ما كنتم تعملون ، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)(٢) .

فيستبشر المؤمن وينادى بفوزه وفلاحه ، وينفضح الكافر ذو الإجرام ، ويقول بكل أسى وحسرة مشفقا مما فيه (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)(٣) فهذا اليوم هو يوم نشر الكتاب - كتاب أعمال العباد - يوم الفصل ، ويوم تحديد المصير النهائى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير)(٤) .

قال تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا)(٥) وهو الحكيم الخبير سبحانه وتعالى .

والآيات التى سبقت عن موعد نشر هذا الكتاب ، كلها مكية - أى نزلت قبل الهجرة - أما فى الفترة المدنية فقد نزلت آية واحدة تتحدث عن هذا الكتاب ، تحذيرا من الله تعالى لعبادة ، وتنبهيا لهم على أنهم يجدون كل أعمالهم حاضرا يومئذ خيرا كان أو غيره ، فقال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا)(٦) .

(١) أفراد الكتاب على إرادة الجنس ، وإلا فلكل واحد من كل أمة صحيفة ، فيها أعماله ، روح المعانى ١٥٦/٢٥ .

(٢) سورة الجاثية ٢٨-٢٩ . (٣) سورة الكهف ٤٩ .

(٤) سورة الشورى ٧ . (٥) سورة الكهف ٤٩ . (٦) سورة آل عمران ٣٠ .

قال ابن الجوزى : "وفى كيفية وجود العمل وجهان : أحدهما وجوده مكتوبا فى الكتاب والثانى : وجود الجزاء عليه"(١) .

توزيع الكتاب ونتيجته

يخرج الله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة للإنسان كتابا ، أحصى فيه الملائكة الكرام كل أعماله ، ويتم توزيع الكتاب ، وتقسيم الناس إلى أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، ويقال للفريق الثانى "تميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون ، فإنكم واردون غير موردكم ، وداخلون غير مدخلهم"(٢) قال تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون)(٣) لأنهم ما كانوا يعملون مثل عملهم ، وقد سجل عليهم كل أعمالهم (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) .

شعور كل فريق

ويصور القرآن الكريم شعور الفريق الأول - أصحاب اليمين - وبشراه (فمن أوتى كتابه بيمينه) يقول : فمن أعطى كتاب عمله بيمينه (فأولئك يقرءون كتابهم) ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه (ولا يظلمون فتىلا)(٤) .
ويخبرنا أيضا عن فرح كل واحد منهم واستبشاره إذ ينادى فيقول حينما يأخذ كتابه بيمينه (هاؤم اقرؤا كتابيه)(٥) سرورا وابتهاجا ، لما يرى فيه من الخيرات(٦) ، ويقول أيضا : (إنى ظننت أنى ملاق حسابييه)(٧) لأنه كان مؤمنا بالبعث وغيره(٨) .

(١) زاد المسير ٢٧٢/١ ، وانظر روح المعانى ١٢٦/٣ .

(٢) تفسير الطبرى ٥٤٢/٢٠ (٣) سورة يس ٥٩ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ٥٠٣/١٧ ، والآية من سورة الإسراء ٧١ .

(٥) سورة الحاقة ١٩ . (٦) انظر المقتطف من عيون التفاسير ٣١١/٥-٣١٢ .

(٧) سورة الحاقة ٢٠ . (٨) انظر تفسير ابن عطية ٧٢/١٥-٧٣ .

هذا ، ويكشف الله تعالى الستار عن الفريق الثانى - أصحاب الشمال ليعودوا إلى الهدى والرشد من مكان منهم - أن الواحد منهم حينما يأخذ كتاب عمله بشماله ، ويعلم أنه أحصى كل صغيرة وكبيرة مما عملها فى الدنيا ، فسوف يدعو بالويل والهلاك كما قال تعالى عنهم (فسوف يدعو ثبوراً)^(١) ويتمنى وينادى (يا ليتنى لم أوت كتابيه)^(٢) - وهيمات - ويتمنى أن لو كان معدوما ليجرى عليه شيء (ولم أدر ما حساييه)^(٣) لأنه لا حاصل له فى ذلك الحساب ، وإنما كله عليه ^(٤) (يا ليتها كانت القاضية)^(٥) أى : "الموتة التى متها فى الدنيا ، كانت القاطعة لأمرى"^(٦) "ولم أبعث بعدها ، فكأنه تمنى الموت ، ولم يبعث للحساب"^(٧) ويعترف بعدم انتفاعه فيقول (ما أغنى عنى ماليه)^(٨) لم يدفع عنه ماله الذى كان يملكه فى الدنيا من عذاب الله شيئاً (هلك عنى سلطانيه)^(٩) أى ذهب عنى سلطانى وملكى وحجتى^(١٠) .

مصير كل فريق

بعد هذا يأتى مصير الفريقين ، ونتيجة تقسيم الخلق إلى فئتين ، قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون)^(١١) فأما أهل الإيمان فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة . وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، فهناك يميز الله الخبيث من الطيب"^(١٢) .

-
- | | |
|------------------------|--|
| (١) سورة الانشقاق ١١ . | (٢) سورة الحاقة ٢٥ . |
| (٣) سورة الحاقة ٢٦ . | (٤) زاد المسير ٣٥٢/٨ . |
| (٥) سورة الحاقة ٢٧ . | (٦) انظر تفسير النسفى ٢٨٨/٤ ، وروح المعانى ٦٠/٢٩ . |
| (٧) زاد المسير ٣٥٣/٨ . | (٨) سورة الحاقة ٢٨ . |
| (٩) سورة الحاقة ٢٩ . | (١٠) انظر تفسير الطبرى ٥٨٨/٢٣ . |
| (١١) سورة الروم ١٤ . | (١٢) تفسير الطبرى ٨١/٢٠ . |

يقول تعالى عن أصحاب اليمين (فأما من أوتى كتابه بيمينه) (١) "أى :
 فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) (٢) بأن
 ينظر فى أعماله ، فيغفر له سيئها ، ويجازى على حسنها" (٣) ولقد روت أم
 المؤمنين عائشة بنت الصديق - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال:
 "ليس أحد يحاسب إلا هلك ، قالت : قلت يارسول الله جعلنى الله فداك ،
 أليس يقول الله - عز وجل - (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب
 حسابا يسيرا) قال : ذلك العرض ، يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك" (٤)

(وينقلب إلى أهله مسرورا) (٥) "أى : ينصرف هذا المحاسب حسابا
 يسيرا إلى أهله فى الجنة مسرورا ، وقال قتادة : إلى أهل أعد الله لهم
 الجنة" (٦) .

وقال تعالى عن نتيجة من يؤتى كتابه بيمينه (فهو فى عيشة راضية) (٧)
 أى فى عيشة مرضية ، أو عيشة فيها الرضى (فى جنة عالية) (٨) فى بستان
 عال رفيع (قطوفها دائية) (٩) أى : ما يقطف من الجنة من ثمارها دان قريب

(١) سورة الانشقاق ٧ . (٢) سورة الانشقاق ٨ .

(٣) تفسير الطبرى ٣١٣/٢٤ .

(٤) رواه الإمام البخارى فى صحيحه ، فى كتاب التفسير باب (فسوف يحاسب حسابا

يسيرا) الصحيح مع الفتح ٦٩٧/٨ ، والإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنة وصفة

نعيمها وأهلها ، باب إثبات الحساب ٢٢٠٤/٤ .

(٥) سورة الانشقاق ٩ . (٦) تفسير الطبرى ٣١٤/٢٤ .

(٧) سورة الحاقة ٢١ . (٨) سورة الحاقة ٢٢ .

(٩) سورة الحاقة ٢٣ .

من قاطفه ، ويقول لهم ربهم - جل ثناؤه - (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)(١) أى : كلوا من الأطعمة ، واشربوا من أشربتها ، هنيئاً لكم ، لا تتأذون بما تأكلون ، ولا بما تشربون ، ولا تحتاجون من أكل ذلك إلى غائط ولا بول ، جزاء من الله لكم ، وثواباً بما أسلفتم وقدمتم في دنياكم لآخرتكم من العمل بطاعة الله في الأيام الخالية التي خلت فمضت(٢) .

وأما الذى يعطى كتاب عمله بشماله ، أو من وراء ظهره كما قال تعالى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) بأن تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه(٣) فيقول الله تعالى للزبانية ، وخزنة جهنم : (خذوه فغلوه) (٤) أى : اجمعوا يده إلى عنقه(٥) ، (ثم الجحيم) أى النار العظيمة الشديدة التأجج(٦) (صلوه)(٧) أدخلوه وأوردوه فيها ، وقال الزمخشري : "ولا تصلوه إلا الجحيم"(٨) (ثم فى سلسلة) وهى حلقات منتظمة (ذرعها) أى : قياسها ومقدار طولها(٩) (سبعون ذراعاً) طولها بذراع الملك(١٠) (فاسلكوه)(١١) قال ابن عباس : "تسلك فى دبره حتى تخرج من منخريه ، حتى لا يقوم على رجليه"(١٢) .

-
- (١) سورة الحاقة ٢٤ . (٢) انظر تفسير الطبرى ٥٨٦/٣٤-٥٨٧ .
(٣) وهو قول مجاهد ، انظر تفسير الطبرى ٣١٥/٢٤ ، والدر المنثور ٤٥٧/٨ .
(٤) سورة الحاقة ٣٠ . (٥) انظر تفسير البغوى ٣٨٩/٤ .
(٦) انظر روح المعانى ٦١/٢٩ . (٧) قوله (ثم الجحيم صلوه) آية ٣١ من سورة الحاقة .
(٨) الكشف ٦٠٤/٤ . (٩) انظر روح المعانى ٦١/٢٩ .
(١٠) انظر المقتطف ٣١٤/٥ .
(١١) قوله (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) آية ٣٢ من سورة الحاقة .
(١٢) تفسير الطبرى ٥٨٩/٢٣ ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور وعزاه إلى ابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث والنشور ٣٧٤/٨ .

وقال الضحاك "السلك : أن تدخل السلسلة فى فيه ، وتخرج من دبره" (١) .

ثم قال الطبرى : "وإنما تسلك السلسلة فى فيه ، كما قالت العرب : أدخلت رأسى فى القلنسوة ، وإنما تدخل القلنسوة فى الرأس . . . وإنما قيل ذلك كذلك ، لمعرفة السامعين معناه ، وأنه لا يشكل على سامعه ما أراد قائله" (٢) .

وقال ابن عطية : "وروى أن هذه السلسلة تلوى حول الكافر حتى تعمه وتضغطه ، فالكلام - على هذا - على وجهه ، وهو السلوك" (٣) .

وقال أبو حيان : "والظاهر أنه يدخله فى السلسلة ، ولطولها تلتوى عليه من جميع جهاته ، فيبقى داخلها مضغوطا ، حتى تعمه" (٤) .

قال الزمخشري : "وتقديم السلسلة على السلك : - فى قوله تعالى (ثم فى سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه) - مثله فى تقديم الجحيم على التصلية ، أى لاتسلكوه إلا فى هذه السلسلة كأنها أفضع من سائر مواضع الإرهاق فى الجحيم" (٥) .

ومعنى (ثم) فى قوله تعالى (خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه) قال الزمخشري : "الدلالة على تفاوت

(١) تفسير الطبرى ٥٨٩/٢٣ . (٢) تفسير الطبرى ٥٨٩/٢٣ - ٥٩٠ .

(٣) تفسير ابن عطية ٧٧/١٥ . (٤) البحر المحيط ٣٢٦/٨ . (٥) الكشف ٦٠٥/٤ .

ما بين الغل والتصلية بالجحيم ، وما بينها وبين السلك فى السلسلة ، لا على تراخى المدة" (١) •

وقال أبو حيان : "يمكن بقاؤها على موضوعها من المهلة الزمانية ، وأنه يؤخذ أولاً فيغل ، ولما لم يعذب بالعجلة صارت له استراحة ، ثم جاء تصلية الجحيم ، فكان ذلك أبلغ فى عذابه ، إذ جاءه ذلك وقد سكنت نفسه قليلاً ، ثم جاء سلكه بعد ذلك ، بعد كونه مغلولاً معذباً فى النار ، لكنه كان له انتقال من مكان إلى مكان ، فيجد بذلك بعض تنفس ، فلما سلك فى السلسلة كان ذلك أشد ما عليه من العذاب ، حيث صار لا حراك له ، ولا انتقال ، وأنه يضيق عليه غاية ، فهذا يصح فيه أن تكون (ثم) على موضوعها ، من المهلة الزمانية" (٢) •

وأهم العبر التى نستقيها من هذا البحث :

أن الكلمات الاعتقادية ليست مجرد ألفاظ تقال باللسان فقط ، ولكنها منهج حياة ، ومعاملة ، وتطبيق فى سلوك •

ومنها : الثبات على الإيمان وعدم التلهى بالانغماس فى نعم الله تعالى المتوالية التى لاتحصى ، وخاصة النعم التى يغتر بها الإنسان ؛ نعمة المال الكثير والرزق والوفير ، نعمة القوة ، نعمة الصحة وراحة البال ، (وإن تعدوا نعمت الله لاتحصوها) (٣) •

(١) الكشف ٦٠٥/٤ • (٢) البحر المحيط ٣٢٦/٨ •

(٣) سورة إبراهيم ٣٤ •

ومنها : التوجه إلى الاستقامة على الطريقة الموصلة إلى رضوان الله تعالى ، إيماننا بمرافقة الملكين الكريمين الكاتبين لكل شئ ، واتباع الخطوات الواضحة من الإيمان بالله وطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، واليقين الجازم بدقة الكاتبين الكريمين •

ومنها : طمأنية القلب ، وثبات المشاعر ، لوجود الكتاب الذى ينطق بالحق ، وأنهم لا يظلمون هناك ، مما يشجع على الابتعاد عن المعوقات والتحرز من الوقوع فى المزالق ، أو التعثر فى الأشواك ، وعدم الاستماع لهواتف الشر ومزىنى الرذيلة والانحراف •

